المعارف الإسلامية الكبيرة والدور المحفز والباعث للشهادة

المناسبة: ذكرى شهداء السابع من تير

المكان: طهران ـ حسينية الإمام الخميني (ره)

الزمان: ١٣٩٤/٤/٦ش. ١٤٣٦/٩/١٠. ٢٠١٥/٠٦/٢٧م.

الحضور: عوائل شهداء السابع من تير وعدد من عوائل شهداء محافظة طهران

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين، سيما بقية الله في الأرضين.

أهلاً ومرحباً بكم كثيراً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، وقد عطرتم هذه الحسينية ومكان عملنا وجدّنا بأريج ذكرى الشهداء.

من بركات الثورة الإسلامية إعادة إنتاج المعارف الإسلامية الأساسية في هذا الزمن. الكثير من هذه المعارف كنا نحملها في الكتب والأذهان، لكن الثورة الإسلامية جسّدت هذه المعارف وحققتها عياناً. من الأجزاء البالغة الأهمية لهذه المعارف منظومة المعارف المتعلقة بالشهادة، وهذا الشيء الذي ذكر بصراحة في هذه الآية الشريفة التي تلوها هنا: ﴿وَلا تَحسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ اَمواتًا بَل اَحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يرزَقون * فَرِحينَ بِمآءاتهُمُ اللهُ مِن فَضلِه ويستَبشِرونَ بِالَّذينَ لَم يلحَقوا بِهِم مِن خَلفِهِم اَلّا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يحزَنون﴾ (٢). هذه معرفة وهي من المعارف الإسلامية الكبيرة، أي الدور المحفز على الشهادة والباعث للشهادة في النظام الاجتماعي الإسلامي. الشهداء يبشرون الذين لم يلحقوا بهم بعد – مثلنا أنا وأنتم – بأنه لا خوف في هذا الدرب ولا حزن، وكل ما هناك بهجة وابتهاج وحيوية وغبطة ومعنويات وأمل. هذا درس. وقد تكرر هذا الدرس في تاريخ الجمهورية الإسلامية. خاض شهداؤنا هذا الساحة بتحفز وحيوية وسعوا سعيهم واستوجب سعيهم الصادق هذا ثواباً من الله فاستشهدوا، وهذه الشهادة بلا شك نعمة كبيرة وثواب كبير منّ به الله على هؤلاء العباد المخلصين الطاهرين الأنقياء الذات. خاض الشهداء في هذا الميدان بحيوية ونشاط ولقوا الله ونالوا رضاه، وفي نشأة ما بعد الموت لم يصبهم لا حزن ولا خوف. وهذا ما ينقلوه للناس والمجتمع ويفيضون به على الذين لم يلحقوا بهم بعد. وقد شاهدنا هذا في هذه الأعوام المتمادية: أين ما كانت هناك شهادة كان بعده فخر واعتزاز عائلة الشهيد، وشعور ذويه وأقربائه بالعزة، وكان هناك هياج وابتهاج معنوي واندفاع مضاعف لدى الناس وتأثيرات اجتماعية كثيرة، ومن جملة تلك الأحداث وأبرزها حادثة السابع من تير.

لم تكن حادثة السابع من تير حادثة صغيرة. قتْلُ المدراء البارزين المؤثرين في النظام – ٧٢ شخصاً منهم – دفعة واحدة حسب الظاهر. وبينهم شخصية مثل الشهيد بهشتي، وقد كان الشهيد بهشتي من نوادر الزمن، ومن الذين قل ما يشاهد الإنسان نظيراً له في الأجيال المتعاقبة. مثل هذا الشخص، وعدد ملحوظ من الوزراء الكفوئين، ومن نواب مجلس الشورى، ومن الناشطين السياسيين والثوريين، يأخذونهم من الشعب دفعة واحدة، طيب، ما سيكون التأثير الطبيعي والعادي لهذا الحادث؟ انكسار الشعب وهزيمة الثورة، هذا ما يجب أن يكون النتيجة بطبيعة الحال، لكن حصل العكس تماماً. حدث عكس هذا تماماً والنقيض لما كان يتوقعه العدو من هذه الحادثة. اتحد الشعب وسارت الثورة في المسار الحقيقي وتوجهت صوب الطريق الصحيح، وانفضح أعداء الشعب وانكشفت حقيقتهم.

كان هناك أفراد نفذوا هذه الجريمة الكبرى مباشرة، وكانوا لسنين طويلة يطرحون أنفسهم في إعلامهم بين الشعب وبين الشباب بشكل آخر وكأنهم مناصرين للحرية وللقيم، هؤلاء فضحوا وتبين أنهم حفنة من الإرهابيين المفتقرين لأية أصول ذهنية وعقيدية وثورية. هؤلاء أنفسهم بعد أن مضت فترة قصيرة على هذا الحدث لجأوا إلى شخص مثل صدام حسين، وعملوا ضد شعب العراق وضد شعب إيران أيضاً، وشاركوا في ساحات الحرب وحاربوا شعبهم، فهل فضيحة فوق هذه. كان هؤلاء المنفذين المباشرين. وكانت هناك أيد خلف الستار، هم أيضاً فضحوا. وكان هناك أشخاص يؤيدون هذا العمل وهذه الجريمة، أولئك أيضاً فضحوا، سواء داخل البلاد أو خارجها. أدرك الجميع ما الذي حصل في هذا البلد ومن الذين يواجهون شعب إيران ويجابهونه. وكان ثمة أناس التزموا السكوت، السكوت المصحوب بالرضا: «سَمِعَت بِذلِك فَرَضِيت بِه» (٣)، هم أيضاً فضحوا.

لقد عيّن الإمام الخميني الجليل سياق الثورة الأصيل بالاستفادة المناسبة من هذه الحادثة، ووضع هذا المسار أمام الشعب الإيراني، ورسم طريق الثورة – الذي كاد ينحرف منذ البداية وأرادوا إلصاقه بالشرق والغرب – وأنقذ الثورة. كان ذلك بفضل هذا الحدث وبركته. نعم، لقد دفعنا تكلفة وفقدنا شخصيات بارزة، لا شك في هذا، ولكن ينبغي النظر ما هو تأثير ذلك. الأمة الإسلامية على مدى ١٤٠٠ سنة من التاريخ لا تزال مدينة لدماء شهداء كربلاء، وهل كلفة فوق فقدان الحسين بن علي؟ وهل نفس أعز من نفوس أصحاب الحسين؟ أعطوا تلك الأرواح ودفعوا تلك التكلفة، لكن الإسلام بقي، والقرآن حفظ، واستمر التيار الإيماني الأصيل في المجتمع. ونفس هذه الحالة حصلت في حادثة السابع من تير وغيرها من حالات الشهادة والشهداء.

من آثار هذه الحادثة الحيوية المعنوية والابتهاج المعنوي للشعب. ومن آثارها إبداء قدرة الثورة وقوتها ورسوخها في أعماق المجتمع. لقد حسب الأعداء حساباتهم، ووجدوا أن مثل هذا الحدث الذي لو وقع

لأيّ نظام لدمر ذلك النظام، قد زاد من متانة الشعب الإيراني وتماسكه، فأدركوا أنه لا يمكن التعامل مع هذه الثورة بعنف، وأن هذا الأسلوب لن يجدي نفعاً. شعروا بهذا.

ومن جملة الآثار المهمة لهذا الحادث على طول الزمن هو فضح القوى المستكبرة المتشدقة بحقوق الإنسان. نفس الذين ارتكبوا هذه الجريمة وجرائم إرهابية أخرى في هذا البلد، يتجولون الآن بحرية في البلدان الأوربية وأمريكا، ويلتقون بمسؤولي تلك البلدان وساستها، ويقيمون المحاضرات والخطابات لهم عن حقوق الإنسان! فهل فضيحة وكشف للحقائق فوق هذا؟ لقد دلّ هذا على درجة النفاق والازدواجية والكذب التي يمتاز بها أدعياء حقوق الإنسان وأدعياء مناهضة الإرهاب، هذا ما يشاهده الجميع اليوم أمام أنظارهم.

لدينا سبعة عشر ألف شهيد اغتيالات في البلاد؛ سبعة عشر ألف شهيد اغتيالات! هل هذا بالرقم القليل؟ وهل هذا بالهزل؟ الذين قاموا بهذه الاغتيالات يتحركون اليوم بحرية في البلدان الغربية. ضد من نفذت هذه الاغتيالات؟ لقد اغتالوا الكسبة والتجار والمزارعين والعلماء وأساتذة الجامعات والمتدينين المتهجدين والأطفال والنساء؛ سبعة آلاف شهيد اغتيالات وإرهاب سجلوا في تاريخ الثورة الإسلامية.

لهذه العملية طرفان: طرف يتمثل بفضيحة الوجوه التي تزعم اليوم مناهضة الإرهاب، وهذه مرآة أمام ادعائهم الباطل تدلّ كم هم كاذبون ومحتالون وخبثاء ومنحطون حتى راحوا يدعمون الإرهابيين المتوحشين كل هذا الدعم، ويزعمون في الوقت نفسه أنهم ضد الإرهاب ويعارضون الإرهاب. هذا طرف من القضية.

والطرف الآخر هو أن شعباً قدّم سبعة عشر ألف شهيد اغتيالات – ما عدا الشهداء الذين قدمهم في ملحمة الدفاع المقدس – لا يزال يقف مع ذلك بقوة وثبات في خدمة الثورة وفي سبيل الثورة ولمواجهة أعداء الثورة. عظمة هذه الثورة وهذا الشعب تبرز بهذه الحالات من الشهادة. هذه الـ ﴿وَيستَبشِرونَ بِالَّذينَ لَم يلحَقوا بِهِم مِن خَلفِهِم اَلّا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يحزَنون﴾ (٤) بشارة؛ بشارة يبشرون بها شعب إيران؛ بشارة يبشرون بها المسلمين. هذه المعارف التي كانت لدينا في الكتب والأذهان عبّر عنها شهداؤنا الأبرار – أبناؤكم وأزواجكم وآباؤكم – في الواقع الخارجي وجسدوها وعرضوها علينا وعلى الأجيال القادمة.

واليوم أيضاً يعزز الشهداء روحية الشعب الإيراني ومعنوياته. قبل عدة أيام من الآن جاءت جثامين ٢٧٠ شهيداً إلى طهران وقد رأيتم أي حدث وقع وأي حماس وهياج كان! كان الوضع المعاكس للبرود واليأس والركود والسكون، كان تحركاً وجهوزية وشوقاً وعشقاً ونزعة مبدئية؛ هذا ما يقوم به الشهداء.

الحق يقال إننا قليلاً ما عملنا على قضية شهدائنا. في حادثة شهداء السابع من تير هذه إمكانيات وطاقات عجيبة للتعريف؛ تعريف هذه الوجوه والشخصيات التي استهدفوها بهذه الجريمة، وتعريف شعب إيران وكيف تماسك مقابل مثل هذا الحادث المزلزل، ولم يترك الساحة بل واكتسب معنويات مضاعفة،

وتعريف الأعداء وأية كائنات منحطة هم، وأية سياسات خبيثة تقف وراء هذه الأحداث، وتفضح أياديهم المجرمة. هذه إمكانية كامنة في حادث السابع من تير والحوادث الأخرى – وأبرزها طبعاً حادثة السابع من تير – لكن عملنا ونشاطنا قليل في هذا الاتجاه ولم نقم بتعريف هذه الجوانب. كان بالمقدور القيام بالكثير من العمل ويجب أن ننهض بهذه الأعمال. الأجهزة المسؤولة وكلنا نعاني من قلة عمل ونشاط. ويبدو أنه ينبغي إيكال هذه المهمة إلى الطيف الثقافي المتدين الثوري الشعبي التلقائي، هؤلاء الشباب الذين ترونهم يقومون في أطراف البلاد بأعمال تلقائية – يقومون بأعمال ثقافية وفنية ويحيون الحقائق ويفجرون المواهب ويستفيدون من الطاقات المتوفرة – هؤلاء يجب أن ينهضوا بهذه الأعمال. ينبغي أن يستطيعوا بلغة الفن والتصوير والأدوات الجديدة تعريف هذا الحدث وهذه الشخصيات، فيعرفوا مثلاً شخصية مثل الشهيد بهشتي، وشخصية مثل الشهيد رجائي وشخصية مثل الشهيد باهنر. كل واحد من هذه الشخصيات التي استشهدت في حدث السابع من تير أو أحداث أخرى، جدير بأعمال عظيمة جداً يمكن أن تنجز لتعريفهم وعرض صورهم وسيرهم.

أحياناً أقرأ هذه الكتب التي تستعرض حيات الشهداء، وفيها حقاً دروس وعبر، فأنا أتلقى الدروس منها وترتفع معنوياتي بقراءة هذه الكتب. فهي تدل على أية شخصيات كان هؤلاء، وأية معنويات كانوا يتحلون بها، وأية عظمة وأية خدمات قدموها بتضحياتهم وبأرواحهم التي حملوها على الأكف وساروا بها إلى الساحة. ألم يكن شهداء السابع من تير يعلمون أن مثل هذا الحدث بانتظارهم؟ كان الأمر واضحاً. كل من كان يسير في هذه الساحة يومذاك كان كمن يسير في حقل ألغام. كانت الحوادث تنهال من كل جانب، ومع ذلك خاضوا غمار الساحة بشجاعة وساروا في الدرب. بركات الشهداء وخيراتهم كبيرة جداً، والحق أنه لا يمكن أداء حقوق الشهداء بهذه العبارات، ولا يمكن حقاً إثابتهم على ما قاموا به من خدمة. هكذا هم عوائل الشهداء. في جلستنا اليوم هناك عوائل تفضلت بالمجئ قدمت ثلاثة من أبنائها شهداء، ثلاثة شهداء أو أكثر. الصبر على فقدان فلذات كبد الإنسان وأحبته شيء سهل باللسان. هناك عوائل كان لها إبنان فقط وقدمت هذين الإبنان في سبيل الله في ساحة الدفاع المقدس. ثمة هنا سيدات تفضلن بالمجئ قدّمن أزواجهن وأبناءهن في سبيل الله. هذا سهل باللسان! كنا نقرأ في تاريخ صدر الإسلام أن سيدة في معركة أحد وضعت أجساد ثلاثة شهداء على راحلة وجاءت بها من ساحة معركة أحد إلى المدينة، وكنا نتعجب كيف يمكن مثل هذا الشيء! إنه يبدو حقاً كالأسطورة في ذهن الإنسان، والآن نشاهد أمام أعيننا هذا الواقع الشبيه بالأساطير. بمعنويات عالية وجيدة وروحيات يمكنها بث البهجة في الأفراد ذوي المعنويات القليلة، وتكريس عزيمتهم وتقويتها. وبلدنا اليوم بحاجة إلى هذه العزيمة الراسخة.

ليعلم الجميع أن البلد اليوم بحاجة لمعرفة العدو. لنعرف العدو، الأعداء العالميون الذين يزوّقون أنفسهم بمختلف صنوف المساحيق وأدوات التجميل الإعلامية والدعائية، ويعرضون أنفسهم بتلك الصور،

لنعرفهم ولنعرف أمريكا. لاحظوا ما في هذه الأيام القلائل الحالية: غداً السابع من تير وهو ذكرى حادثة الحزب الجمهوري، وفي سنة ٦٦ [١٩٨٧ م] في نفس يوم السابع من تير هذا وقع القصف الكيمياوي على مدينة سردشت؛ نعم، صدام هو الذي فعل ذلك، ولكن من كان يقف وراء صدام سنداً له؟ كان الأمريكان والغربيون هم الذين منحوه تلك القنابل الكيمياوية وأضاءوا له الضوء الأخضر وسكتوا حيال هذه الجريمة الكبرى وهذه المجزرة العجيبة. وفي يوم الحادي عشر من تير – بعد أيام من الآن – ذكرى اغتيال الشهيد صدوقي، وهو أيضاً من فعل هؤلاء المجرمين، وفي يوم الثاني عشر من تير – بعد أيام من اليوم – هناك حادثة إسقاط طائرة الإيرباص في مياه الخليج الفارسي. من السابع من تير إلى الثاني عشر من تير لاحظوا كم هناك من اغتيالات ومذابح؟ كم من النساء والأطفال والعلماء والسياسيين تعرضوا لجرائم عملاء أمريكا؟ حتى لو لم تكن الأجهزة الأمنية الأمريكية والغربية المخطط لهذه الأحداث فلا أقل من أنها ساعدت وشجعت على ذلك. لنعرف هؤلاء الأعداء. لقد كان تعبير بعض الأعزاء جيداً بأن نعلن السابع إلى الثاني عشر من تير «أسبوع حقوق الإنسان الأمريكية». الحق أن حقوق الإنسان الأمريكية في هذه الأيام شيء واضح وبارز في بلادنا، وهنالك من أمثال ذلك ما يصعب حصره. إذن، نحن بحاجة لمعرفة العدو. الذين يحاولون في هذه الأيام أن يصنعوا من هذا الغول – وهذه سياسة الأمريكيين وبعض أتباعهم – وجهاً مبرراً، إنما يقومون بخيانة وجناية. الذين يكتمون هذه الحقيقة الناصعة ويغطون هذا العداء الخبيث تحت أستار من التبرير إنما يخونون شعب إيران. بلدنا وشعبنا بحاجة إلى معرفة العدو وإدراك عمق عدائه.

كما يحتاج شعب إيران لأن يعد نفسه للمواجهة. هذه المواجهة ليست دوماً مواجهة صلدة ولا هي دائماً مواجهة في ساحة قتال عسكري، فالأصعب من ذلك المواجهة في ساحة الحرب الناعمة، وفي الساحة الثقافية، وفي الميدان السياسي، وفي ساحة الحياة الاجتماعية. شعب إيران العزيز اليوم بحاجة إلى رسالة الشهداء، إنه بحاجة لهذه الرسالة. شعبنا بحاجة إلى هذه الرسالة الباعثة على الأمل والكاشفة للحقائق والمفعمة بالابتهاج المعنوي والروح المعنوية التي يبثها فينا الشهداء. والشعب مدين للشهداء ولكم يا عوائل الشهداء، كلنا مدينون. الذين يكتمون هذا والذين لا يريدون لاسم الشهداء أن يذكر بالعظمة، وأين ما ذكر اسم شهيد أو أسماء الشهداء وجرى تكريمهم كأنما يتعرضون هم لجرح وإصابة، هؤلاء أجانب على مصالح هذا الشعب، هؤلاء أجانب، حتى لو كانت هوياتهم إيرانية لكنهم في الواقع أجانب. إنهم ليسوا مخلصون وبوجه واحد وقلب واحد مع شعب إيران.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ – قبيل كلمة الإمام الخامنئي، ألقى حجة الإسلام السيد محمد علي شهيدي محلاتي رئيس مؤسسة الشهداء والمضحين كلمة في هذا اللقاء.

٢ – سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ و١٧٠ .

٣ – إقبال الأعمال، ج: ١ ، ص: ٣٣٣ .

٤ – سورة آل عمران، شطر من الآية: ١٧٠ .